نشأة علم البردي وتطوره

علم البردي هو العلم الذي يتعلق بقراءة ودراسة كل ما كان مكتوباً على صفحات البردي. وما أكثر الأنواع واللغات التي استخدمت في الماضي وسطرت بها صفحات ومجلدات. فهناك البردي الهيروغليفي والهيراطيقي والديموطيقي ثم اليوناني والآرامي أو العبري واللاتيني والقبطي والفارسي والعربي[1]. وأسهم علم البردي في تعميق معرفتنا بتاريخنا القديم، فهو بمنزلة سجل تاريخي لكافة تفاصيل الحياة في مختلف المجالات، وهو علم وسيط بين علمي التاريخ والآثار، حيث يوثق للأثر ويروي عنه.

بدأ علم البردي papyrology بدراسة الوثائق البردية اليونانية واللاتينية التي عثر عليها في مصر ويرجع تاريخ كتابتها إلى الفترة ما بين

---

[1]- زكي علي: *المرجع السابق*، ص ص ١١-١٢.

عـام ٣٣٢ ق.م وعـام ٦٤١ م، ابتـداء مـن فـتح الاسـكندر الأكبـر وحتـى الفـتح العربـي لمصـر، ثـم أصـبح بعـد ذلـك يشـمل البرديـات المكتوبـة بلغـات الحضارات الشرقية القديمة مثل الديموطيقية والقبطية والآرامية والعبرية والسيريانية والفارسية والعربية كما يدخل في نطاق ذلك النصوص المكتوبة على مواد أخرى للكتابة مثل الأوستراكا (قطع الفخار) والرَّق والخشب والألواح المعدنية والعظام والأحجار[٢].

ومنـذ عـام ١٧٧٠م بـدأ الرحالـة والضـباط الأوربيون يحملون معهم عند عودتهم من مصر إلى بلادهم نماذج من أوراق البردي القديم، بل لقد حمل بعضهم معه لفافات كاملة منها مكتوبة بالهيروغليفية أو اليونانيـة، ومـع نهايـة عـام ١٨٧٠ بـدأ عصـر الكشف المكثف عن أوراق البردي[٣].

٢- سيد عمر: *المرجع السابق*، ص ٧.

٣- نفتالي لويس: *الحياة في مصر في العصر الروماني ٣٠ ق.م-٢٨٤م*، ترجمة آمال الروبي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٥.

ويمكننا تقسيم تاريخ علم البردي إلى خمس مراحل:

المرحلة الأولى: في عام ١٧٥٢ بدأت حفائر بومبي Pompeii وتم العثور على أكثر من ١٧٠٠ لفافة بردية متفحمة وتعالج مواضيع فلسفية خاصة بأبيقور وفيلوديموس Philodemos.

المرحلة الثانية: في عام ١٧٧٨م حاول بعض الفلاحين في مصر بيع بعض اللفافات البردية إلى أحد الأجانب الأوربيين ولكنه لم يشتري إلا قطعة واحدة فقط، ويبدو أن باقي البرديات قد تم حرقها. وقام الأجنبي الذي اشترى هذه اللفافة بإهدائها إلى الكاردينال بورجيا لذلك سميت charta Borgiana، وكانت عبارة عن سجل خاص بأشغال الري يرجع تاريخه إلى القرن الثاني أو الثالث الميلادي. وتعتبر هذه البردية المحفوظة الآن بمتحف نابولي هي أول بردية تخرج من مصر وتجذب اهتمام العلماء والهواه بالحضور إلى مصر للبحث عن أوراق ابتداء من النصف الأول من

القرن التاسع عشر وتم العثور على كميات كبيرة في سيرابيوم منف والبهنسا (بالمنيا) Oxyrhynchos وأخميم Panopolis، وطيبة والفنتين.

المرحلة الثالثة: في عام ١٨٧٧ بدات حفائر غير منتظمة في إقليم الفيوم Arsinote وإهناسيا المدينة والأشمونين وتونا الجبل Hermopolis Magna وكان الجزء الأكبر من البرديات يتم العثور عليه في الأكوام الأثرية Kopriai والمنازل، والمكاتب الإدارية، والمكتبات القديمة وكذلك داخل الأواني والصناديق الخشبية.

المرحلة الرابعة: بدات حفائر Flenders Petrie في إقليم الفيوم عام ١٨٨٩-١٨٩٠م وهي أول حفائر منظمة للبحث عن البردي. وتم العثور على كميات كبيرة من التوابيت المصنوعة من ورق البردي المستعمل المضغوط (كرتون). وبعد استخلاص أوراق البردي من هذه التوابيت وجد أنها عبارة عن وثائق هامة تخص الدولة والمعابد. كما أن مومياوات الحيوانات وخاصة التماسيح كانت

محشوة وملفوفة بأوراق البردي المستعملة التي لم يعد أحد في حاجة إليها. وفي عام ١٨٩٥-١٨٩٦م بدأت حفائر جرنفل وهانت في كوم أوشيم (كرانيس) أولاً، ثم في باكخياس ثم في أوكسيرنخوس وتم الكشف عن قرى ثيادلفيا ويوهيميريا في عام ١٨٩٨-١٨٩٩م وفي قرية تبتونيس في عام ١٩٠٠، وفي عام ١٩٠٥ بدأ العالمين الفرنسيين ليفيفري وجوجيه حفائرهم في في مجدولا وأفروديتوبوليس، وتوالت حفائر الألمان والإيطاليين ايضاً فيما بعد.

المرحلة الخامسة: بسبب الحرب العالمية واختفاء العلماء المؤسسين لعلم البردي توقف هذا العلم لفترة وجيزة، ثم عاد إلى الزهور مرة أخرى ولكن بقوة على يد علماء جدد نشطين من مختلف دول العالم مثل أمريكا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وبلجيكا وسويسرا وبولندا وروسيا. قام هؤلاء العلماء بحفائر مستمرة أكثر تنظيماً من ذي قبل وذلك بالاتفاق مع الحكومة المصرية وقامت مراكز

متعددة في تلك الدول لدراسة علم البردي ونشر مجلات علمية متخصصة. كما بدأت مصر تشترك في هذا المجال بإرسال الباحثين المصريين إلى دول أوربا وأمريكا لدراسة هذا العلم وبإنشاء مركز للدراسات البردية بجامعة عين شمس[٤].

ويرتبط علم البرديات الآن بعلوم حديثة ومتطورة، منها علوم الترميم والصيانة والفهرسة، وهي في الواقع علوم تطبيقية ضرورية، تساعد الباحث على فك لفافات البردي بشكل دقيق؛ لأن غالبية البرديات تكون في حالة هشة، ولا يمكن دراستها إلا بعد إجراء العمليات اللازمة من الفك والصيانة والترميم. ومنذ تسعينيات القرن الماضي، بدأ علم البردي يتجه إلى الرقمنة، ونستطيع حاليًّا استخدام التكنولوجيا الحديثة في إعادة تكوين البرديات وقراءتها وفك رموزها.

---

[٤]- سيد عمر: *المرجع السابق*، ص ص ٧-١٠.

أما عن تاريخ علم البردي العربي على وجه التحديد؛ فقد حظيت البرديات العربية بعناية خاصة من قِبَل العلماء والمستشرقين في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، نظرًا لأهميتها التاريخية في كشف جوانب غامضة من التاريخ الإسلامي ومنتجه الحضاري.

وبدأ الاهتمام بالبرديات العربية منذ نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر، من قبل الأكاديميات الاستشراقية في العالم أجمع، حيث تسابقت الجامعات والمتاحف والمكتبات القومية، على اقتناء أكبر قدر من البرديات، بوجه عام، والبرديات العربية، بوجه خاص.

والمتتبع لدراسات قدامى المستشرقين الذين بذلوا جهودًا مضنية في سبيل دراسة البرديات العربية يلحظ أنهم استفادوا كثيرًا من علوم أخرى في تحليل نصوص البرديات العربية، خاصةً علم التاريخ حيث الارتباط الوثيق، فالوثيقة البردية تعتبر

مصدرًا تاريخيًّا موثوقًا؛ لأنها عاصرت الأحداث وكشفت تفاصيلها.

وارتبط علم البرديات العربية بعلوم أخرى مثل علم الأنساب، وعلم الوثائق الذي يعد علمًا قائمًا بذاته، ويتفرع منه علم آخر عُرف بعلم المراسلات. وتتطلب هذه العلوم من الباحث ضرورة الرجوع إلي المصادر العلمية المتخصصة لفهم البرديات العربية التي تضم نصوصها موضوعات من بينها صناعة الإنشاء، والقضاء ومجالس الفقه، وفض المنازعات وتوزيع الميراث، والعقود بشتى أنواعها (زواج، بيع، شراء، إيجار، عمل)، والوصفات الطبية... وغيرها.